مقتطفات من كتاب

السلام عليك يا صاحبي

أدهم شرقاوي

حدوتة كتاب

إليك...لأنك تعرف لماذا!؟

كبسولة خير للبرمجيات

مصطفى علي سيد

(أبو مهاب)

https://cap-khir.com

sedratalmontha@gmail.com

السَّلامُ عليكَ يا صاحبي

يا صاحبي،
ليس كل من واساكَ خالياً من الحُزن،
لعلَّه عرفَ معنى أن يحزن المرءُ ولا يجد أحداً يواسيه!
ولا كل من أعطاكَ ثريٌّ،
لعلَّه عرفَ جيداً معنى أن يحتاجَ المرءُ ولا يجد!
ولا كُل من ربتَ على كتفكَ ليس له همٌّ،
لعله أراد أن يدعو بطريقةٍ أخرى، فيقول صامتاً وهو يُطبطبُ عليكَ:
ها أنا أربتُ على أكتاف الناس فاربتْ على كتفي يا الله!

إلَيْكِ..

وَحْدَكِ تَعلَمينَ أنَّ هَذا الكِتابَ لَكِ!

كان حكيم بن حزام من أشراف قُريش، وكان يطلبُ العلم عند معاذ بن جبل، رغم أنه أكبرُ من معاذٍ بخمسين سنة! فقيل له: أنتَ تتعلمُ على يد هذا الغلام، فقال: إنما أهلكَ الناسَ الكِبر!

قول الإمام مالكٍ لتلميذه القعنبي: مهما تلاعبتَ بشيءٍ فلا تلعبَنَّ بدينك!

هل أتاكَ حديث امرأةٍ من بني دينار، أُصيبَ زوجها وأخوها وأبوها يوم أحد، فلما نعوهم إليها قالت: ما فعلَ رسول الله؟ قالوا: هو بخير! فقالتْ: أَرونيه حتى أنظر إليه! فلما رأته قالت له: كل مصيبةٍ بعدك جلل/ صغيرة يا رسول الله!

لا تعرِضْ نفسكَ على رفٍّ يُنقص قيمتك!

الطريقة الوحيدة لتحصل على الحُب هي أن تقدمه! الحُبُّ حصاد يا صاحبي،

لو كان الأمر بيدي ما تركتهم يطرحونك أرضاً، فكل أرض أنتَ لستَ فيها أنا فيها غريب!

الغربة سجن يا صاحبي، واللهِ سجن! ولكنتُ سنابلكَ الخُضر كلها وما مسّكَ معي من يباس!

ثمة جوع لا يسده إلا شخص واحد، وأنا جائع إليكَ!

ولعلَّ الذي أحبَّكَ بجنونٍ أرادَ أن يقول لك: لقد تمنيتُ أن يُحبني أحدٌ مثلما أحببتُكَ!

تخيَّلْ روعة المشهد، أن يغارَ اللهُ على قلبكَ!

بعض الناس أحرارٌ فعلاً، وكثير منهم يظنون أنهم أحرار لمجرد اتساع الطوق قليلاً حول رقابهم! صدقني، إذا أخبرتُكَ أن الإنسان يكتسبُ حريَّةً بمقدار ما يكون عبداً لله!

التردد مقبرة الفرص! هناك أبواب لا تُفتح إلا مرة واحدة في العمر، إن لم تدخل منها ستبقى في الخارج إلى الأبد! وقد قالوا قديماً: إذا هبَّتْ رياحك فاغتنمها!

أعرفُ كم هو لذيذٌ أن تجدَ نهاية المطاف شخصًا على مقاس قلبكَ تماماً،

وها أنا الليلة أضعُ يدي على قلبي وأقول: اللهم جامعَ الناس ليوم لا ريب فيه اجمعني بضالتي! ومن فرط غربتي، وفقد الأحبة غُربة، أقول: اللهم اجمعني بي! من فرط الحُب يُصبح أحدهم نحن!

أنتَ المحكوم بفقد أحبابك، جرِّبْ إذا أحببتَ أحداً في المرة القادمة أن لا تُحبَّه، لعلَّه يبقى!

كنتُ البارحة أقرأ في سير أعلام النُّبلاء، وما زالتْ كلماتُ عبد الله بن المبارك عن الإمام مالك ترنُّ في أُذني حتى اليوم، قال: «ما رأيتُ رجلاً ارتفعَ كمالك بن أنس، ليس له كثير صيامٍ ولا صلاة، وإنما كانتْ له سريرة!»

ثمة خسارات تبدو بعدها كل الخسارات الأخرى مجرد هزائم تافهة، وأي خسارة أكبر من أن يخسر رجل المرأة التي يحب!

وأنكَ تحتاجُ إلى دواءٍ، ولكنه لا يُشبه ذلكَ الذي يُباع في الصيدليات! تُعاني نقصاً في العِناق، ولم يُعبِّئوا الأحضان في قوارير بعد!

كَتِفٌ! أرأيتَ يا صاحبي، ها هي كلمة واحدة، من ثلاثة حروف، ومكتوبة بخط واضح، ولكن يا لندرة الأكتاف الصالحة للاتكاء، وكأنكَ تطلبُ بيضة ديك!

يحدثُ يا صاحبي أن تنزَّ الدموع من كل خليةٍ فيك إلا من عينيك!

أقولُ لكَ: هل سمعتَ يوماً بالمرياع؟!
فأرى في عينيكَ غرابةً أعرفها حين أسألكَ عن أمرٍ لم تسمع به من قبل.
فأوفِّرُ عليكَ عناءَ أن تقول: لا!
وأقولُ لكَ: المرياع هو خروفٌ من الغنم يُعزلُ عن أمه يوم ولادته.
فلا يراها ولا تراه!
ويوضعُ مع أنثى حمارٍ ليرضعَ منها حتى يعتقدَ أنها أمه!
وبعد أن يكبر يُخصى.
ولا يُحلق صوفه أبداً ليكتسبَ هيبةً.
وتنمو قرونه بفعل الإخصاء ويصبحُ ضخماً.
وتُعلّقُ في رقبته الأجراس.
ويوضعُ في مقدمة القطيع خلف قائده الملهم!
ولكن المرياع في الحقيقة ما هو إلا بطل فارغ ذو رئاسة منقوصة!
فهو لا يسير إلا إذا سارت أنثى الحمار التي أرضعته.
وهكذا فإن المرياع الذي يبدو قائداً لأول وهلة
وإنما في الحقيقة تسوقه أتان!

ولكني حين أردتُ مغادرة المكان،
أمسكَ طفل مقعد بيدي ونظر إليَّ وابتسامة عريضة على فمه،
قلتُ له: هل لكَ حاجة فأقضيها لكَ؟
فقال لي: لا
ولكني أريدُ أن أحفظ وجهكَ،
حتى أعرفكَ في الجنة وأشكرك مرةً أخرى أمام الله!
عدتُ يومها من هناك بشيءٍ ثمينٍ جداً،
عدتُ بطعم السعادة!

- أول من يقف في وجه ثورة العبيد ليس السادة،
وإنما العبيد الذين يعتبرون أن امتيازاتهم مرهونة ببقاء السادة!
- بعض العبيد يعتبرون أنهم ليسوا مربوطين،
لمجرد أن الحبل الذي رُبطوا به أطول مما رُبط به غيرهم!
- إذا قضى الإنسان زمناً طويلاً في العبودية،
فإنه يستمرئ هذه العبودية، ويقتنع بها، ويعتبر أن كل مُطالبٍ بالحرية هو خائن!
- البعض يكرهون من يحاول أن يتحرر،
لأنهم في قرارة أنفسهم عاجزين عن أن يكونوا أحراراً،
لقد ألفوا أن يكونوا تابعين، والحرية تلغي هذه التبعية،
والذي قضى في القيد سنوات طويلة تفسدُ فطرته تجاه الحرية.

في العام 1949م عيَّنَ رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح بهيج تقي الدين وزيراً للزراعة،
كانت هذه هي المرة الأولى التي يستلم فيها بهيج تقي الدين حقيبة وزارية،
في تلك الليلة كتب الأديب سعيد تقي الدين،
رسالةً إلى أخيه الوزير يقول فيها:
أخي بهيج، أمدَّ الله في عمركَ .
علمتُ أنك أصبحتَ وزيراً وهذا شرف كبير لعائلتنا،
لكني أحبُّ أن أُذكرُك بأننا عندما كنا صغاراً،
كنا نتسابق للنوم في فراش أبينا رحمه الله،
ولا شكَّ أنك تذكر كيف كان يشمُّ أيدينا،
ليتأكد أنها نظيفة وأننا غسلناها بعد الطعام،
كي يسمح لنا بالنوم معه،
والآن يرقدُ أبونا في قبره تحت السنديانة،
ولا شكَّ أننا سنرقدُ معه بعد مدة،
فاحرِصْ يا أخي أن تكون يدك نظيفة حين ترقدُ معه!

يا صاحبي،
إن الحاكم شيء والوطن شيء آخر،
كراهيتك للحاكم لا يبرر لكَ أن تخون وطنكَ،
الحكام يذهبون ويأتي غيرهم،
أما الوطن فيبقى إلى الأبد!

وحيدٌ أنتَ هذه الليلة يا صاحبي،
وحيدٌ كبيت مهجور غادره قاطنوه،
كمحطة قطارٍ قديمة،
كشجرة في رأس جبلٍ لا يجلس تحتها أحد!
تتوضأُ، وتُصلي ركعتين، وتضعُ يدكَ على صدركَ،
وتقول: قلبي يا الله!

كل أقدار الله خير ولو أوجعتكَ!

ليست المسافات هي التي تُقرِّب أو تُباعد بين الناس،
القلوب هي التي تفعل!
وأنتَ أقربُ من وريدي إليَّ، وإن نأتْ بنا المسافات!
كثير من اليقين بالله يا صاحبي،
قليل من السعي الذي لا بُد منه،
ولو استغنى أحد عن السعي،
لاستغنت عنه مريم وهي في قمة ضعفها،
ولكن قد قيل لها ﴿وَهُـزِّي إِلَيْـكِ بِجِـذْعِ النَّخْلَـةِ تُسَاقِطْ عَلَيْـكِ رُطَبًـا جَنِيًّـا﴾
وها أنا الليلة أمسحُ على رأسك، وأقول لك: وَهُزِّي إِلَيْكِ

أوجعُ الجروح يا صاحبي هي التي تكون في الروح!

أن تشعرَ أن أحدهم ممسك بقلبكَ لا بيدكَ!

وفي دعاء عمر بن الخطاب عزاءٌ لكَ أيضاً:
اللهمَّ إني لا أسألك خِفَّة الحِمل، ولكن قوَّة الظهر،

إن قيمتنا الحقيقية بقدر ما نلتزم لا بقدر ما نتخلى!
التخلي سهل، يجيده الجميع، ويحترفه الجبناء،
التمسُّك هو الصّعب، ولكن في الصعب قيمتك،

في فترةٍ من حياته اعتزلَ الإمامُ مالكٍ الناس،
فلم يكنْ يشهدُ الجمعة ولا الجماعات،
ولا يعودُ مريضاً ولا يمشي في جنازة!
فلما سُئل بعد ذلك قال: ليس كل إنسان يستطيعُ أن يبوح بعذره!

نحن نُسأل عن الأسباب يا صاحبي لا عن النتائج،
ويوم القيامة يؤتى بنبيٍّ لم يُؤمن به أحد!
تخيَّل هذا المشهد، وتعزَّ به، نبي لم يقتنع بدعواه أحد!

تسألني: كيف حالك؟
يا لمشقَّةِ السؤّال!
العالم حولي صاخب ومزدحم،
وأنا وحيد!

ولكن صدقني يحدثُ أن يكون المرءُ وحيداً وهو في زحام!

يُصبحُ المرءُ بارداً لشدَّة ما احترقَ!

يا صاحبي،

عندي ثلاثمئةٍ وستين عظمة وقلب واحدٍ،

تركوا عظامي كلها،

وكسروا قلبي!

ليتهم كسروا لي عظمةً،

وتركوا لي قلبي لأحبهم به!

والسّلام لقلبكَ

قرأتُ البارحة في تاريخ دمشق لابن عساكرٍ

عن سُهيلٍ أخي حزم قال:

رأيتُ مالكَ بن دينارٍ في منامي بعد موته فقلتُ له:

يا أبا يحيى بمَ قدِمتَ على اللّه؟

فقال: قَدِمتُ بذنوب كثيرة، محاها عني حُسن الظنِّ باللّه!

هناك فرقٌ شاسع بين حبيبٍ نام وتركك تتقلبُ
على جمر الخلاف،
وبين الذي يأتيك آخر الليل ليقول لكَ:
ضع خصام النهار جانباً،
لن أتركك تنامُ وفي عينك دمعة!

الخلافات ليست دوماً سيئة يا صاحبي،
على العكس تماماً إنها تُرينا مكانتنا في قلوب أحبابنا،
وهذا أجمل ما فيها!
لا شيء أجمل من أن تكتشف أنك لا تهون ولو كنتَ مخطئاً،
وأن كسر خاطركَ ممنوع،
ولو أخطأتَ أنتَ وكسرتَ خاطره!

ليست كل الأدوية تُباع في الصيدليات يا صاحبي!
هناك عيون إذا جلستَ تتأملها ذهبَ الذي بكَ،
وهناك أيدٍ إذا أمسكتها عادت إليك عافيتك،
وهناك أحضان إذا دفنتَ رأسكَ بها شعرتَ بأمانٍ لا يشعرُ به
قائد بين جنده المدججين بالسلاح!
صدقني يا صاحبي،
يمكن لحضن صغير أن يكون أكثر الأماكن أمناً على وجه
الأرض!

ليست كل الأدوية تُباع في الصيدليات يا صاحبي!

أخبرتكَ أكثر من مرةٍ عن قصة قرأتها،
عن رجلٍ دخل يوماً إلى عيادة طبيب،
يشكو له وجعاً في جسمه، وانطفاءً في روحه!
فأجرى له الطبيب فحوصاتٍ وأشعة وتحاليل،
فتبين له أن المريض لا يشكو من شيء!
فقال له: إن مشكلتكَ نفسية،
حاول أن تروّح عن نفسك،
اقرأْ، سافرْ، تعرَّف على أصدقاء جُدد!
اسمعْ، لكَ عندي نصيحة،
في المدينة مهرج بارع اسمه كارلينا،
يجعل الناس ينسون همومهم لكثرة ما يضحكهم،
أنصحك بمشاهدته!
فنظر المريضُ إلى الطبيب بعينين دامعتين وقال له:
أنا كارلينا أيها الطبيب!

وأنتَ ما بكَ من عرج غير الذي في قلبكَ،

فما يضُرُّكَ لو مشيتَ إلى اللّه بقلبك المثخن هذا!؟

قالوا: عندما تحزنُ تذهبُ إلى أكثر شخصٍ يُحبُّكَ،

وعندما تفرحُ تذهبُ إلى أكثر شخصٍ تُحبه،

ويا لحظكَ لو كان هو نفسه في الحالَيْن!

تسألني: من هو الحبيب الأول؟
فأقولُ لكَ:
الحبيب الأولُ ليس أول شخص تعطيه قلبكَ،
ولكنه أول شخصٍ لا تستطيعُ أن تستردَّ قلبكَ منه!
الحبيبُ الأول ليس بالضرورة أنه أول شخصٍ يصلُ إليك،
ولكنه الشخص الذي لا يسبقه أحدٌ في قلبك،
وإن وصل الآخرون قبله!

فعزّاني الخطيب البغدادي في تاريخه،
فقد حكى عن إمام الحرم يوسف بن الحُسين الرازي،
أنه رُئيَ في المنام بعدِ موته،
فقيل له: ماذا فعلَ اللّه بكَ؟
فقال: غفرَ لي
فقيل له: بماذا؟

فقال: بكلماتٍ قلتها عند الموت!
قلتُ: اللهم إني نصحتُ الناس قولاً وخنتُ نفسي فعلاً،
فهبْ خيانة فعلي لنصيحة قولي!

يحدثُ أن تعرف أنَّ كتف أحدهم لا يصلح إلا لحمل الجنائز،
ولكنكَ تتكئ على كتفه معتقداً أن الحُبَّ يُقوِّم القلوب لا الأكتاف فحسب،
ولكن ينتهي بك المطاف جثةً هامدة،
على كتفٍ كنتَ تعرفُ أنه لا يحسنُ غير هذا!!

يا صاحبي،
من أرادكَ، لن يمتحن صبركَ في كل مرةٍ!
لهذا ثِقْ أن كل الذين دفعوك إلى اتخاذ قرار الرحيل،
كانوا يريدون منكَ أن ترحل!
ولكن الناس أحياناً لا يريدون أن يكونوا أول من يُغادر،
إنهم في كل مرةٍ يضعون المقصَّ بيدكَ،
فاقطعْ هذا الحبل الواهي وتحرر!

يقولُ ابن الجوزي: لقد تابَ على يديَّ في مجالس الذِّكر أكثر من مئتي ألف،
وأسلم على يديَّ أكثر من مئتي نفس،
ولكم سالتْ عينُ متجبر بوعظي لم تكُنْ تسيل،
ولقد جلستُ يوماً فرأيتُ حولي أكثر من عشرة آلاف،
ما فيهم إلا من رقَّ قلبهُ، أو دمعتْ عينه،
فقلتُ لنفسي: كيف بكِ إذا نجوا وهلكتِ؟!
فصحتُ بلساني وجدي: إلهي وسيدي، لئن قضيتَ عليَّ بالعذاب غداً،
فلا تعلمهم بعذابي، صيانةً لكرمكَ لا لأجلي،
لئلا يقولوا: عذَّبَ من دلَّ عليه!

إياكَ أن تُري الناس أنك تخافُ اللّه وقلبُكَ فاجر!

لا تعُدْ إليَّ بعد أن كنتُ في يدكَ وأفلتني!

لا أحد يعرفُ أنَّ هذا الإنسان البارد الذي صرته،
نتيجة احتراقات كثيرة،
لم يكن غيرُكَ شاهداً عليها!

السَّلامُ على قلبكَ من أن يُكسر،
فإن كسر القلب موجع واللّهِ وإن لم يُحدث صوتاً،
وأشدُّ ما في كسر القلب أعاذك اللّه منه،
أن لا جبيرة له!

السَّلام عليكَ يا صاحبي،

بقيَ الأحنف بن قيس يصوم تطوعاً حتى بلغ من العمر عتياً،
فقيل له ذات يوم: إنكَ كبير والصوم يُتعبك،
فقال: إني أُعدُّه لسفر طويل،
لسفرٍ طويل يا صاحبي، فتأملها!

كل ثمنٍ قليل إن كان مقابله أن تُدرك!

سألَ رجلٌ هند بنت النعمان بن المنذر آخر ملوك المناذرة في اليمن،

فقال لها: حدثيني عن مُلككم وما كُنتم فيه!

فقالتْ: أأختصرُ أم أُفصِّل؟

فقال: اختصري!

فقالتْ: أصبحنا وكل من رأيتَ عبداً لنا، وأمسينا وعدُوُّنا ممن يرحمنا!

يا صاحبي،

واللهِ هي ثغور ومن لزمَ ثغره طرح الله تعالى البركة في حراسته!

حرس البخاري ثغر الحديث فكان الصحيح!

وحرس مسلم ثغر السُّنة فشدَّ أزر البخاري!

وحرس مالك ثغر الفقه فكان الموطأ!

وحرس أحمد بن حنبل ثغر العقيدة فكان المُسند!

وحمى الله بظهره الذي جُلد دين أمةٍ كاملةٍ!

والسلام لقلبكَ

قال الربيع بن خيثم لامرأته: اصنعي لنا خبيصاً!

ولأنها أكلة شاقة في طبخها، لذيذة في طعمها،

ظنَّتْ أنه سيدعو إلى طعامهْ أحد الأعيان،

فعادَ ومعه رجل مجنون!

فجعلَ يسكبُ له ويطعمه، ولعاب الرجل يسيل،

فلما ذهبَ الرجل المجنون من عنده،

قالتْ له امرأته: تكلّفنا وصنعنا، وما يدري هذا ما أكل!

فقال لها: ولكن الله يدري!

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355